المصطلحات العلمية في اللغة العربية

بقلم الاستاذ عادل انبوبا

لقد كثرت النشرات العلمية في البلاد العربية وازدادت ازدياداً يبعث على الارتياح والاعتزاز. فلهذه النشرات فضل على اللغة التي تريدها غنى ودقة وعلى الفكر العربي الذي تكسبه طرقاً علمية في البحث والتفكير، بعيدة عن المبالغة والغموض، مبنية على المنطق والتحقيق ولها فضل على القومية العربية التي تعززها في مضمار نشعر فيه بتقصيرنا وضعفنا. واصحاب هذه النشرات جديرون بكل تقدير وتشجيع فقد يقضي بعضهم في تحضير نشراته الايام الطوال ولا امل لهم بكبير نفع مادي او معنوي، فأهل الاطلاع العلمي قليلون ومعظمهم يميل الى مراجعة الكتب الغربية ثقة منهم بدقتها وسعة معلوماتها وتنوع ابوابها وطرقها. وكأني بزملائنا لا تثبطهم هذه العوائق فهم لا ينقطعون عن التأليف والنشر ممهدين بعملهم هذا لنهضة علمية قريبة ان شاء الله.

غير ان هذه الحركة التأليفية المباركة تحمل في طياتها ضعفاً قد يتحول الى داء مستعص وبيل اذا لم تبادر الدول العربية صاحبة السلطان والشأن الى معالجته سريعاً وهذا الضعف انما هو مسألة المصطلحات العلمية التي استعصت او كادت على المؤلفين الذين ذهبوا في بيدائها كل مذهب. ولنا فيها آراء وخواطر رأينا ان ندلي بها.

من المعلوم ان برامجنا مستوحاة من البرامج الاوروبية او هي منقولة عنها. وكتبنا العلمية الموضوعة تشبه في وضعها الكتب المترجمة ولا عجب فنحن اليوم في عهد يشبه عهد العباسيين في الترجمات والنقل وأي عربي لا يعظم ذكرى حنين بن اسحق والحجاج بن مطر ويوحنا بن البطريق وغيرهم ويرى فيهم مؤسسي نهضتنا الاولى التي لا تزال انوارها تبهر اعين المستشرقين حتى اليوم.

قلنا اننا في دور الترجمة ولكن هل توصل مؤلفونا اليوم الى وضع المصطلحات العلمية الاجنبية باللغة العربية ونحن نعلم ان العرب لم يعرفوا من علومنا الحديثة الا اليسير ، فالفيزيا. بوجه التقريب وليدة القرن السابع عشر وبعض اجزائها كعلم الذرة لا يرقى الى اكثر من خمسين سنة .

على هذا السؤال نجيب ميزين بين العلوم العليا والدروس الثانوية والابتدائية. ففيما يخص الاولى لا بد من التسليم ان آلاف المفردات مفقودة في العربية وكذلك قل في العلوم الصناعية. الا ان الامر في نظرنا ليس بالامر العظيم وهذه المفردات يجب الّا تدخل في لغتنا الا عند الحاجة الحقيقية اليها ، اذ ما الفائدة من وضع معجم ببضعة آلاف كلمة لن يستعملها مئة شخص في عشر سنين !

ومن المعلوم ان عددًا كبيرًا من مدارسنا العليا هو اجنبي وان جامعاتنا الوطنية تعول احياناً على اساتذة اجانب لتدريس العلوم وعلى اللغات الاجنبية؛ وبما اننا امة علمها مكتسب امة لا تزال فقيرة الى ما هو موفور في بلاد صغيرة كسويسرا وبلجيكا والدانمارك[1] فمن الحرام ان نسدّ في وجهنا كل طريق مؤدّية الى التحصيل . وأرى ان حرمان الناشئة من تلقي الدروس باللغات الاجنبية وقصرها على اللغة العربية يضرّ بها وبالامة ضررًا بيناً ويقطع بيننا وبين الغرب ينبوع معارفنا وعلومنا . وبهذا نرى ان العلوم العليا وخصوصاً ما كان منها في دور التطور يحسن بل يجب ان يعلم بلغة اجنبية علمية[2] ويؤيد ما نذهب اليه الطرق المتبعة في جامعات اميركا كهارفارد وكولومبيا وبوسطن وغيرها فانها لا

---

١) الدانمارك بلد صغير فيه ثلاثة ملايين ونصف من السكان يجاري في الرقي والعمران اعظم البلدان . كفاه فخرًا انه انجب نيلسن بوهر الذي درس عليه الكثيرون من علماء اوروبا والذي يعد من اهم مؤسسي النظريات الذرية وقد قام بأبحاثه كلها في مختبرات بلاده وكوفي بجائزة نوبل العالمية .

٢) فلننظر في امر طبيب تلقى دروسه باللغة العربية فانه في جهله اللغات الغربية مقطوع عن العالم العلمي كروبنسون في جزيرته . وبينما يتقدم الطب بخطى سريعة يظل طبيبنا على معلوماته اليسيرة ، هذا ان لم ينسها بالتدريج . واهمال هذا الطبيب خطر على المجتمع . ثم ماذا نصنع بالمستحضرات الطبية واسمائها اجنبية ؟ !.

تقبل طالبها فيما لم يكن يعرف احدى اللغتين العلميتين الافرنسية والالمانية وفي بعض الجامعات يطالب بلغتين اجنبيتين في حين ان اميركا في حال من الرقي العلمي يغنيها عن فرنسا والمانيا . ولكن اولياء الامر فيها يرون من الحكمة الا يقطعوا بين طلابهم ومهذبيهم واطبائهم واصحاب الثقافة العالية بوجه الاجمال وبين علماء اوروبة وادبائها حتى يتمكن الاميركي من مطالعة المقالات العلمية بلغتها الاصلية غير معتمد على الترجمات مهما تعددت .

ثم اننا اذا استقرأنا التاريخ رأينا ان العلماء في اوروبة في الجيل السابع عشر وما قبله كثيراً ما كانوا ينشرون ابحاثهم العلمية باللغة اللاتينية . نذكر منهم الفيلسوف والعالم الشهير ديكارت الفرنسي ، ونيوتن النابغة الانكليزي « في مبادىء الفلسفة الطبيعية » ، واولر السويسري في القرن الثامن عشر ، وغوص الالماني الذي نشر حساباته الخالدة باللغة اللاتينية في مطلع القرن التاسع عشر . ناهيك عن ان الحشرات والنباتات لا تزال تذكر في الكتب العلمية باسمائها اللاتينية حتى اليوم .

في كل ما تقدم بيانه الادلة الناصعة على ان العلوم في أجزائها العالية متعة انسانية مشتركة بين مختلف الشعوب ، واولى ان تدرس بلغة علمية شائعة ، ومن الخطأ ان تحصر العلوم باللغة العربية منذ اليوم ، فنكون كالغارس النبي الذي يفصل الفسيلة عن امها قبل ان تتمكن جذورها من التربة فتموت .

وبما اننا في ذكر اللغات فلا حرج اذا لهونا عن موضوعنا الاساسي بقضية يرتبط بها مصير النشء والعلم . ان اتقان اللغات لمن يعنى بالعلوم امر جوهري . اذكر شاهداً على قولي انني طالعت كتاباً افرنسياً في الرادار ذيل بلائحة من واحد وعشرين مؤلفاً يجدر مطالعتها لاستكمال البحث منها ثمانية عشر باللغة الانكليزية . فتأمل ! وما يقال في العالم يصح في الاديب والمؤرخ فهل من باحث مدقق في تاريخ الشعوب العربية او في فلسفتها يترفع عن معرفة الالمانية والانكليزية ؟

يجدر اذاً بطلابنا ان يحسنوا الى جانب لغتهم لغة اجنبية علمية او لغتين وليس هذا بالكثير على نشء عرف بالنباهة وسرعة الحفظ . ويؤلمنا ان بعض الاقطار العربية قد خطت طريقاً معوجة تُسيّر عليها ابناءها فهم يحجمون عنهم

للغات حتى بلوغهم الثانية عشرة من عمرهم . فيضيعون عليهم سني الحداثة وهي سنو الذاكرة القوية والقابلية لاقتباس اللفظ الصحيح فاذا ما تعرف الطالب الى لغة اجنبية وهو كبير السن استحال عليه النطق السليم وغلبت عليه الركاكة في التعبير وعظم عليه اجهاد ذاكرته . ولنا في ما يقاسيه الكثيرون من طلابنا في اوروبا الشواهد الموسفة البليغة على صحة ما نقول. وقد يكتفي الطالب العربي من اللغة الاجنبية بقواعدها الصرفية والنحوية والكلام المتداول بين عامة المتكلمين بها ، وليست هذه حال الطالب العربي فان موقفه من اللغات الاجنبية غير موقف رفيقه الذي يجد في لغته بضعة آلاف من الكلمات توجد بحرفها في اللغات الغربية الاخرى فلا يحتاج الى حفظها مجددًا والكلمات العلمية وخاصة الحديثة منها تكاد تكون واحدة في اللغات الغربية فكأنها تؤلف لغة دولية واليك ما نقلناه على التوالي من صفحة واحدة من قاموس انكليزي افرنسي Harrap's Standard

Hyperalgésie :	Hyperalgesia
Hyperbate :	Hyperbaton
Hyperbole :	Hyperbola
Hyperbolique :	Hyperbolic
Hyperboloïde :	Hyperboloid
Hyperborée :	Hyperborean
Hyperespace :	Hyperspace
Hyperesthésie :	Hyperaesthesia
Hypermétrope :	Hypermetropic
Hyperpiésie :	Hyperpiesis
Hypertension :	Hypertension
Hypnose :	Hypnosis
Hypnotique :	Hypnotic
Hypochlorate :	Hypochlorate

وقد اهملنا في الصفحة المذكورة من الكلمات المنطبقة لفظاً في اللغتين ثلاثة اضعاف ما نقلنا .

المصطلحات في العلوم الابتدائية والثانوية

١ - تكاثر المفردات

ننتقل الآن الى الكتب العلمية للتدريس الابتدائي والثانوي . لقد تفرقت صفوف المؤلفين بشأن المصطلحات . فمنهم جماعة انصرفوا الى كتب الاقدمين وخصوصاً في بدء نهضتنا الحديثة واختاروا منها حاجتهم فجاءت المفردات في اغلب الاحيان وافية بالمراد واحياناً بعيدة عنه . وقد اضطروا الى وضع مصطلحات جديدة كثيرة اما لعدم حصولهم على مجموعة وافرة من كتب العرب واما لفقر هذه الكتب الى بعض التعابير المطلوبة . ولم يكن بين مختلف المؤلفين بحث مشترك في الموضوع او اتفاق سابق فوضع كل مصطلحاته منفرداً مستقلاً وكأنه شاء ان ينفرد في مختاراته وان يهمل الموجود في كتب غيره حتى الصالح منه فاصبحنا امام سيل من المصطلحات تجاوز عددها عدد مدلولاتها اضعافاً . ولا يرى العارفون في ذلك ثراء بل فقراً وعياً واذا استمرت الحال على ما هي عليه من الفوضى فالنتيجة زيادة اسباب التفرقة العلمية بين البلدان العربية وجهل ما ينشر في قطر منها غير مأنوس عند سكان القطر المجاور او يضطر القارئ الى الالمام بجميع المصطلحات المستعملة في سائر الاقطار العربية .

مثال ذلك كلمة vertical ترجمت : شاقولي ، رأسي ، عمودي ، قائم
وكلمة espace ترجمت : فضاء ، فراغ ، خلاء .
وكلمة axiome ترجمت : بديهية ، اولية ، مُتعارَف
وكلمة pancréas « : بَنْقراس ، بنكرياس ، حلوة ، غوزة المعدة ، معقد ، مُعَثْكَلَة
وكلمة coefficient ترجمت : مسمى ، مثل ، معامل ، ضارب ، عامل . . .

والامثلة على ذلك عديدة جداً .

افلا يخشى والحال على ما وصفنا ان يحل بنا ما حل في الماضي يوم اندمجت القبائل العربية ولغاتها فأصبحنا وللمسمى الواحد مئات من الاسماء وللفظ الواحد

عدة معانٍ متباينة وقد يطلق على معنيين متضادين وهي نهاية البعد والاختلاف : انه لاثرا. خير منه الفقر،اثرا. يشبه اثرا. الصحاري بالرمال فلا نبات ولا حياة. وحسن ان نذكر ما نقله السيوطي في المزهر عن الكتاب المسمى بالالفاظ والحروف « ولم يؤخذ اي اللسان العربي عن حضري قط .. ولا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم اهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية ولا من تغلب واليمن فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ولا من عبد قيس وازد عمان لانهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ولا من اهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز »[1]. رحم الله جامعي اللغة فانهم رحمونا .

وهنا لا بدّ من التسليم ان تعدّد المفردات لا مفرّ منه اذا كانت المعاني المدلول عليها غير محصورة بالعلوم . خذ مثلاً معنى المرور في قولنا مرور التيار الكهربائي في السلك الموصل ، معنى غير محصور بالعلم فلا نستطيع ان نبطل استعمالهم مرّ التيار او سرى او جرى ولكن ننصحهم بالاكتفاء ان هم قوم ينتصحون ! ويجدر بالاستاذ ان يلفت نظر التلاميذ الى الفروق بين المترادفات الثلاثة المذكورة لاثارة الدقة العلمية في عقولهم وازالة الغموض والفهم التقريبي. ولا يقبل في حال من الاحوال ان يخلط بين اسماء اشياء مختلفة نستعمل كلمة جوقلة او مصاصة او دورق للدلالة على اي اناء او وعاء كان !

ان التباين في المفردات للتعبير عن شيء واحد ، لا نجده في كتابين طبع احدهما في العراق والثاني في مصر بل نجده ايضاً في مؤلفين احدهما شامي والآخر حلبي وقد يمتد الى مطبوعات مدينة واحدة ومطبعة واحدة ، وهذه البلبلة في المصطلحات تولد مثلها في الافكار والتثقيف وتبعث الحيرة في نفس الطالب وتثقل ذاكرته .

---

(١) ذكر في مقدمة اقرب الموارد .

٢ – التشويش في المعاني

والخطب الثاني الذي يستهدف لخطره الطالب هو ان يستعمل مؤلف كلمتين للدلالة على شيئين مختلفين ثم يأتي مؤلف ثانٍ ويعكس استعمالها.

يعبر بعضهم عن énergie بالطاقة و puissance بالقدرة

ويعبر غيرهم عن énergie بالقدرة و puissance بالطاقة

وفي ذلك خطر عظيم ا ومعروف في تاريخ الديانات ان كثيراً من الشيع والانشقاقات انما نشأت عن تباين في فهم بعض المفردات.

على ان هذا الالتباس يقع احياناً في اللغات العلمية الغربية نفسها ففي الافرنسية يدلون بكلمة cercle عن السطح المحصور داخل الدائرة وعن الدائرة نفسها، وكذلك تأتي cône بمعنى المخروط والسطح المخروطي ويسمي بعضهم مستوياً ما هو في الحقيقة نصف مستوٍ. وهذه بقايا تاريخية قديمة، ايام لم يكن اتفاق بين العلماء ولا مؤتمرات علمية ولا حكومات تنظر في امر التعليم، ناهيك عن ان الامثلة قليلة جداً تقع في مسائل يسيرة يزول الالتباس فيها بفعل القرينة ولهذا لم يعرها المسؤولون اهمية ما حتى الآن ولا نشك في انها سوف تزول اما اثر تدخل الدواوين المختصة واما بدافع الدقة التي تميز بعض الشعوب جماعات وافراداً وعلى كل فان الاجانب ما اوغرونا يوماً على تبني سيئاتهم وحسناتهم معاً وهم لا ينفكون عن اقامة الحلقات العالمية لتوحيد الوحدات او المصطلحات او بعض الثوابت، ويتباحثون ويتناقشون لتنظيم اعمالهم. وعندهم قواميس ضخمة ثمينة للمفردات العلمية يقع بعضها في ست لغات فتأمل.

٣ – اختيار المصطلحات والعود الى القديم

قلنا ان المفردات زائدة عن المدلولات في كثير من الاحيان ومفقودة في غيرها فكيف يكون الاختيار اذاً ومن يكون الحكم بيننا! انحتكم الى الاقدمين ونعود الى لغتهم ونتبعها حرفياً. انصعد في الزمان عشرة اجيال ونبني صرحنا العلمي بحجارتهم؟ ان الرأي الشائع هو ان الاقدمين كانوا اسلم لغة منا لقربهم من البداوة وبعدهم عن الاعاجم واخذهم عن الاصول اليونانية. ولكن

الحقيقة ابعد ما تكون عن الاحكام الجازمة العامة وهي كثيرة التشعبات والعقد ككل الامور التي تتعلق بالاحياء . ولذلك فليس كل ما وضعه التراجمة سليماً صحيحاً بل هنالك ما هو عقيم سقيم ، فعندهم الفصيح والركيك والبليغ والردي. يضاف الى ذلك اغلاط النساخ التي تجعل بعض المقالات مغلقة لا معنى لها مطلقاً. ثم ان التآليف والتراجم العلمية القديمة تستوعب اربعة اجيال ايام لم يكن من طباعة وتناول بلاداً شاسعة من البحرين الى الاندلس ، بلاداً كانت المواصلات بينها نادرة شاقة . ولهذا تطورت لغتها ونشأت متعددة وهو امر يتعدى العلوم الى سائر مواطن الفكر ، فلغة الفارابي غير لغة ابن سينا ومن المعلوم ان العقبة الجوهرية التي لا بد من تذليلها هي تفهم لغة كل فيلسوف تفهماً دقيقاً كاملاً فنظرياته وبراهينه مبنية على بضع مفردات كالنفس والروح والمادة فالبلبلة التي نشكو منها اليوم كانت موجودة عندهم . ويجدر بنا ان نذكر هنا ما جاء في نشرة المجمع اللغوي المصري لدى بحثه قضية المصطلحات العلمية . قال : « فاصطلاحات الفقه والنحو والحديث والحساب والهندسة والجبر والمنطق كلها عربية . ولكنهم عندما توغلوا في ترجمة العلوم اليونانية والهندية ، كان الفصحاء قد انقرضوا من الامصار . وتولى الترجمة بعض مستعربة الاعاجم ممن لم تستحكم مرتهم في العربية ، فعجزوا عن ترجمة بعض الالفاظ الاعجمية مع وجود مرادف لها فيها ، ودونوا من اسماء الحيوان والنبات ما لا تعرفه العرب باسمائها الاعجمية ، وعمت البلوى باستعمال فلاسفة المسلمين واطبائهم لهذه الالفاظ ، وخاصة من كان منهم من سلالة اعجمية ، كالفارابي والرازي وابن سينا . ولكن كثيراً من اصحاب المعجمات ابوا تدوين الاعجمي المحدث ، وعابوا على صاحب القاموس نقله لكثير من اسماء النبات والحيوان والعقاقير الاعجمية ». (سنة ١٩٣٤ ص ٢٠١)

هذا ما طلع علينا به المجمع اللغوي على اننا وان كنا لا نقر رأيه بكامله نجد فيه تحذيراً للذين يقولون بالرجوع للقديم دون تروٍ وتمحيص .

٦ – اللغويون والمصطلحات العلمية

وسنعود بعد قليل الى قضية الترجمة ونكتفي الآن بالاشارة الى عقلية بعض اللغويين الافاضل الذين يحرصون على سلامة اللغة الى حد يريدون معه ان

يقفلوا في وجهها العالم وكل مقتبس اجنبي مع انهم يعرفون جيداً ان من المستحيل تحديد اللغة العربية ويوم نشوئها ومكانه وكيف تطورت قبل ان استقرت والمفردات التي اندثرت منها ، ويعرفون ايضاً ان من الكلام العربي المتداول الفصيح ما هو اعجمي واكثره ضاع نسبه فادخلوه في النسب العربي . وهناك ألفاظ فارسية وهندية وحبشية وعبرانية وسريانية واكثرها لم يعد يتميز اصله فعدّ عربياً . واليكم امثلة نستمدها من مجلة المجمع المذكور ، من مقال للاستاذ بندلي جوزي ؛ وفيه يذكر ان في العربية ما يقرب من سبعمئة كلمة اصلها يوناني بعضها يرقى الى الاجيال الاولى للمسيح ايام لم يكن للعرب آثار مدونة محفوظة :

برج ، زوج ، سفينة ، منبر ، جنس ، جزية ، جسر ، درهم ، قطر ، لص ، كيس ، نوتي ، ناموس ، مرهم . . . وهلم جرا .

وقد تعمدنا ذكر هذه الكلمات لان فيها من الفصاحة العربية والصيغة العربية ما يبعث على الشك والحيرة، وكذلك قل عن المدينة فأن اصلها سرياني وبلد واصلها غالباً لاتيني وقرية فينيقية تحريف قرتا ومنها قرطاجانة ، وضيعة وقد تكون فارسية . ولا غرابة فالعرب وهم قوم رحّل لم يكن عندهم ما يعبرون به عن الحياة الحضرية .

واذا كان العرب الاقحاح لم يجدوا غضاضة في تبنّي الكلمات الاعجمية فلِمَ لا نتبناها نحن اليوم وحاجتنا اليها اضعاف حاجة العرب الاولين؟ مع المحافظة طبعاً على الصيغة العربية وعلى قواعدها في اللفظ ووقعها الموسيقي في الآذان . ويحضرني في هذا المعرض من الحديث ملاحظة اتى عليها مفتش الدروس الثانوية في لبنان الاستاذ واصف بك البارودي اذ قال: «كان للعرب جرأة الفاتحين الذين يحتلون البلاد واللغات ولا يرون في ذلك حطاً من سيادتهم» اما نحن فاخشى ان يكون لنا بعد عقلية الخاسر المنكمش فاذا تناولنا كلمة اعجمية فكأنما ملكتنا . نضرب مثلاً واحداً من مئات ! يريد المجمع اللغوي المصري ان يقال بدلاً من j'ai téléphoné أرْزَنْت !! اما في لبنان فيقول العامة تَلْفَنت وهو تركيب عربي سائغ على اللسان والاذان . ولا شك ان لفظة هتفت افضل من تينك اللفظتين ولكن لا مانع مبدئياً من التعريب اذا لم نجد في العربية كلمة سلسة تفي بالمراد .

ولا نرى بدًا من الاشارة الى امر هام هو ان اللغة مظهر من مظاهر الحياة يخضع لقوانين الحيـاة كما انها اداة للتعبير وليست غاية تقوم بنفسها فلا مبرر اذن ان نسخر العلم للغة ونتخذ له من المفردات ما بلي منها ، توصلًا الى احيائها فما وجد العلم لبعث الاموات . نقول هـذا حدًا من مساعي بعضهم وللكشف عن عقلية رجعية . فمن مقترحات لجنة المجمع اللغوي المصري للتعبير عن :

١) yacht دونيج ونهبوع بدلًا من يَخْت فانظر الى غرابة هاتين اللفظتين المتوعرتين اللتين لا يتبادر الى ذهن احد انهما عربيتان ، بعكس يخت .

٢) train rapide : الجهيز وهو الخفيف من الخيـل . ولعلهم ارادوا به ، على سبيل الفكاهة طبعاً ، الموت السريع كما جاء في اللغة ايضاً .

٣) Express : الزفوف وهو من النوق الحسنة السير السريعة .

٤) Volant d'une voiture : دَوْطيرة وهو اسم مهجور لكوتل السفينة .

كأني باصحاب هذه المقترحات لا يهدفون من ورائها الى اداء المعنى بـل الى بعث المئة كلمة المختصة بالابل والخيل من مراقدها وقد كفانا المجمع شر هذه الكلمات النابية الجافية في اجتماعات متأخرة ولقر كلمتي سباق وسريع .

على ان اللغة مع ذلك لا تقوم على قرارات مجمع مـا بل على استعمال الكتاب واصحاب الجرائد والعامة وكلما توترت المصطلحات اتسعت مسافة الخلف بين اللغة العامية والفصحى .

٥ - عودة ثانية الى الاقدمين

اما وقد اظهرنا المساوئ الناجمة عن تسخير العلم للغة فلنعد الى المصطلحات العلمية وكيفية انتقائها فنقول : لا بد من اللجوء الى كتب الاقدمين فان ما وضعوه من عشرة اجيال ونيف قد بعث في مؤلفات النهضة الحديثـة في القرن التاسع عشر . فان ما يدرسه اليوم فتياننا في الحساب والطبيعيات وعلم الهيئـة والهندسة يكاد يكون بكامله في كتبهم الا ان ما نأخذه على مؤلفينا المحدثين هو انهم لم يحسنوا دوماً الاختيار كما انهم لم يحسنوا التنقيح والتحرير وعلينا

ان نتصرف الى التفكير في اقوم الطرق لاصلاح هذا الخلل . وفي الرجوع الى امثال الخوارزمي والبتاني والخيام وغيرهم اقرار بالجميل وتقدير لعبقرية مفكرين افذاذ يعدهم علماء الغرب اعلاماً نيرة في طريق العلم على مر الاجيال وفي الرجوع الى الاقدمين عربون شكر من احفادهم على مجد تليد . فلا بأس اذا اشرنا في حواشي كتبنا المدرسية الى مصطلحات استعملوها والجئنا الى اهمالها او الى بعض حلول لعمليات اشتهروا بها مع ذكر نبذة عن تاريخ حياتهم . ومن الطبيعي اننا لن نأخذ عن المتقدمين كل ما تركوه لنا ففي مؤلفاتهم مسائل عديدة لا تهمنا اليوم والعلم قد تطوّر فبعض فروعه غنا وبعضه تلاشى ففي مقالات اوقليدس كما نشرها العرب اشياء كثيرة عن الاعداد الكاملة والمتحابة وغيرها وعن خصائص النسب والتناسب نزدريها اليوم وقد درسها الغربيون حقبة من الدهر ثم اهملوها واذا ذكر منها النزر القليل فعلى طريق التسلية .

ومن المصطلحات ما شاع اليوم وانتشر فلا سبيل الى بدله بما هو في كتب العرب لما في ذلك من تشويش وبلبلة . من ذلك ان كلمة عدد عند العرب تدلّ على الصحيح منه ويقولون ثلاثون من العدد بمعنى واحدة ... وهذا طريف ويجدر بالاستاذ معرفته ولكن من الخطأ الاستناد اليه في عاومنا اليوم حيث اتسعت كلمة عدد حتى حوت جميع الاعداد الصحيحة والكسرية والعشرية والسلبية والموجبة وغيرها .

وجاء في كتاب عمر الخيام: رسالة في براهين الجبر والمقابلة : عادة الجبريين ان يسموا في صناعتهم المجهول الذي يراد استخراجه « شيئاً » ومضروبه في مثله « مالاً » ومضروب ماله فيه « كعباً » ومضروب ماله في مثله « مال مال » ومضروب كعبه في ماله « مال كعب » ومضروب كعبه في مثله « كعب كعب » . ويشبه هذا التعبير الف الف .

قلنا ليس من عادتنا اليوم ان نسمي مضروب عدد في نفسه مال العدد بل مربعه وهو افضل فان مساحة المربع تساوي مضروب ضلعه في نفسه فثمة صلة بين المفردة ومدلولها لا نجدها في مال . ثم انا نقول مكعب العدد وقدرته الرابعة او الخامسة او السادسة او النونية للدلالة على مال المال ومال الكعب وكعب الكعب. وفي كلمة قدرة توسيع وتوحيد لفكرة ضرب عدد في نفسه

وما كان المتقدمون ينظرون في مضروب اكثر من ستة اعداد متساوية في نفسها ونفضل لفظة قدرة على قوة تاركين القوة للتعبير عن force جاعلين لكلمة puissance المستعملة في الفيزيا. والرياضيات مرادفاً واحداً في اللغة العربية . وهو اوجه .

اما لفظة شيء فقد تغلبت عليها في عصرنا لفظة المجهول رغم فصاحتها وسهولتها ونجد لفظة شيء في كتب الغربيين القديمة أخذاً عن العربية . فقد جاء مثلاً في الحلّ المنظوم شعراً لمعادلة الدرجة الثالثة الذي اوجده العالم الايطالي تارتاليا سنة ١٥٣٥[1] :

Quando che'l cubo con le cose appresso.
Se agguaglia a qualche numero discreto.

اذا كان المكعب المضاف الى الاشياء مساوياً لعدد ما اي س٣ + ب س = ح .

ومن اللجوء الى كتب ائمة العرب الرياضيين تدرك سبب التشويش الحالي في التعبير عن بعض الالفاظ البسيطة امثال directrice, inscriptible, trapèze . . . وتتوصل مع الاستعانة بالاصول اليونانية الى التعبير الصالح الفصل .

٦ – التعريب اي نقل المفردات بلفظها الاعجمي

لا شك ان كتب الاقدمين لن تمدنا بمصطلحات العلوم الحديثة كاملة فثمات من المسميات نكرة عندنا . فأية فئة منها يجوز او يجب نقلها الى العربية بلفظها الاعجمي ؟ .

قد يثور غضب بعض اللغويين لسؤال بري. يجدون فيه تهجماً على سلامة اللغة . ولكن الحرص على لغتنا اكثر من الالمان وهم مبتدعو نظرية الجنس الآري ؟ انتبذ ما اقدم عليه اجدادنا من قبل في سبيل اغناء اللغة واحيائها وتخطئهم وتقبيحهم ؟ ومتى افسد الباذنجان على العرب انتهم؟ واين الخطر ليس في ادخال المفردات بل الاساليب الاجنبية الركيكة؟ ولكنا نعتقد ان الروح العربية اقوى وانها ستتمثل الدخيل الاجنبي وتحوله الى جوهرها كما يتمثل الجسم الاطعمة المختلفة ويحولها الى دمه ولحمه . وهذا الامتزاج امر نشهده في سائر

١) ذكر في الترجمة الافرنسية لكتاب الفكاهات الرياضيات لروز بال الجزء الثاني.

مظاهر الحياة فالموسيقى العربية مثلاً تردد اليوم القطع الاوروبية بشغبية عجيبة ولا شك ان ساعة الهضم والامتثال سوف تدق يوماً .

جاء في مجلة المجمع اللغوي المصري : « ودخول الاساليب الاعجمية في اللغة العربية قديم يتصل بالعهد الجاهلي ، ثم نشط في العهد الاسلامي ، منذ حمل راية الكتابة فيه عبد الحميد الكاتب ، ثم تكاثر ونما في العصر العباسي ، وحامل راية التعريب فيه ابن المقفع ، حتى كانت نهضتنا الحديثة فرجح ميزانه وطغى دلوفانه . . . لكن الاساليب الاعجمية موجودة في اللغة العربية على كل حال . وربما وجد لها شواهد في شعر عدي بن زيد العبادي الذي تربى في بلاط الاكاسرة وله شعر كثير مملوء بالكلمات الاعجمية فيعد الا يكون في شعره اساليب اعجمية ايضاً . وكذا يقال في شعر الاعشى وغيرهم من الشعراء الذين خالطوا الاعاجم وتأثروا بثقافتهم .

. . . اما نشوء الاساليب الاعجمية في صدر الاسلام فيكفي شاهداً عليه ما قاله ابو هلال العسكري صاحب كتاب الصناعتين : . الا ترى ان عبدالحميد الكاتب استخرج امثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي وحولها الى اللسان العربي » . (١٩٣٤ ص ٣٣٣) .

ويستدل من ذلك ان من الضروريات في اللغة ما لا مفر منه ، والقضية في التعقل وعدم المبالغة . وقد أقر المجمع المصري انه « اذا لم يجد بعد البحث اسماء عربية لها (اي للمصطلحات) وضع اسماء جديدة بطرق الوضع المعروفة من اشتقاق او مجاز او غير ذلك . . . فاذا لم يوفق في هذا التجأ الى التعريب مع المحافظة على حروف اللغة واوزانها بقدر الطاقة . . .

ويجيز المجمع ان يستعمل بعض الالفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم » .

فاذا ما اقررنا مبدأ التعريب تحول النقاش الى مدى تطبيقه . مثال ذلك . يريد المجمع المذكور ان يترجم كلمة yard بالذراع الانكليزية و mètre بالذراع الافرنسية وما العمل اذاً بالمقاييس الاخرى taille, toise, pic . . . وهي عشرات ! مع العلم ان « متر » و « يرد » لفظاً عربيتان بدرجة فتر وبيت وهما شائعتان

ايما شيوع بين العامة والخاصة ، ويجدر اعتبارهما لفظتين « دوليتين » . ويريد ترجمة mark, franc بدينار افرنسي ، ودينار المانيا مخالفاً بذلك سُنّة الاختصار والتسهيل بادلا كلمة اجنبية باثنتين ونحن نرى ان تنقل بألفاظها الاعلام مثل Watt, Ohm, Ampère . . . وكثير منها اصبح اسماً لوحدات المقاييس ويؤخذ لفظها الصحيح عن لغتها الاصلية Ampère عن الافرنسية ، Ohm عن الالمانية وهلم جرا . ولما كان اللفظ الأجنبي لا تؤديه دوماً الاحرف العربية فيتبع في نقله قواعد معينة وافية فنقول پ عن p وڤ عن v وقس عليه كما هو وارد بالتفصيل في الابحاث المختصة . وفي ذلك الدلالة على نسبه الاجنبي ولا نرى ضرورة من تحويل Ampère الى امپير بالباء فهل نمنع عارف اللفظ الاصلي من لفظه صحيحاً ؟ وباعة الجرائد في شوارعنا ينطقون بالاسماء الاجنبية صحيحة وهم أميون .

واما الاعلام القديمة او الحديثة التي اشتهرت بنطق خاص في اللغة العربية فتبقى كما عرفت اوقليدس ، ارسطو . . .

وتعرب ايضاً الا في ما ندر اسماء وحدات المقاييس التي لها صيغة عالمية امثال décagramme, kilogramme, hectogramme . . . gramme, dyne, litre الخ . . . ولا نرى رأي المجمع المصري القائل بان يترجم décimètre بالشر و centimètre بالمشير و millimètre بالمشار وغايته احياء ثلاث مفردات عثر عليها في زاوية منسية من المصباح . والالفاظ cent, milli, déca . . . تدخل على وحدات كثيرة ويستحيل عملياً الاستغناء عنها وكذلك تنقل بالفاظها اسماء العناصر الكيماوية والاجسام المشتقة منها الا ما شاع عند العرب قديماً كالكبريت والقار فنقول tungstène, cobalt, cadmium, brome, bore ويحتفظ بالاحرف اللاتينية للرموز .

هذه بعض احوال يتوجب فيها التعريب وليست غايتنا ان نحيط بجميعها . ولا نظننا مبالغين في نهج هذه الخطة من النقل ونحن ممن يودون ان تسحب من التداول ومن افواه سائقي السيارات امثال كاربيراتير ، موتير ، شمبر ، أكس ، بوجي . . . وان تبدل بألفاظ عربية كالمفحم والمحرك كما حلت السيارة والطائرة مكان الاتومبيل والاڤيون . وفي استعمال العامة لهذه الكلمات دليل واضح على ان العلم والصناعة قد دخلا الاسواق قبل المدارس وكتب اللغة .

ومتى ربي الجيل الجديد على المفردات العربية وعمّ استعمالها بين الطلاب فالمفردات الاجنبية تتلاشى بفعل الحال ويبطل استعمالها بين الناس . اللهم اذا اوجدنا لها بديلاً سائغ اللفظ حلو السمع فلا نفعل فعل المجمع المصري الذي اقترح :

زَفْزافة بدلاً من motocycle .

تَمْوان لذراعي مقود الزفزافة .

ذبذاب بدلاً من pendule ويستعملون في سوريا لفظة نواس وفي لبنان رقاص

طبطابة « « مضرب لعبة الـ cricket .

فكيف تشيع امثال هذه الالفاظ وتنطلق على الالسنة ! والمجمع هو القائل « ان في بطون المعجمات مئات الالوف من الكلمات المهجورة الحسنة النغم والجرس » !.

٥

نقف عند هذا الحد من بحثنا وقد اردنا ان نبين موضعاً من مواضع الضعف في نهضتنا العلمية والاخطار التي تنجم عنه . وننهي مقالنا بفكرة عملية . ليس في وسع الافراد ان يفرضوا على امة بأسرها مشروعاً هاماً كتوحيد المصطلحات رغم الحاجة اليه وما يرجى من منافعه الادبية والعلمية. فالكلمة اذن للحكومات المسؤولة وللجامعة العربية التي تسعى في توحيد كلمتنا في مختلف مظاهر حياتنا القومية . هلّا اقرّت هذه المقترحات وعقدت مؤتمراً من الاختصاصيين ممثلين لاعضائها ، يتم عن يدهم وضع جداول بالمصطلحات والتعابير والرموز العلمية باللغات الثلاث العربية والافرنسية والانكليزية على ان تستعمل دون سواها في المؤلفات العربية وفي الامتحانات الرسمية. وهكذا نكون حققنا عملاً نافعاً للنشء العزيز ومهدنا السبيل امام علماء الغد .

واذا لم يلاق نداؤنا اذاناً صاغية عند الدول العربية فرجاؤنا الى حكومة لبنان ان تخطو الخطوة الاولى وتقرر في داخل اراضيها توحيد المصطلحات. فلبنان كان ولا يزال الهادي في طريق التقدم والرقيّ .